(١ - ٢)

ثـــورة اكـتـوبـر غـــيّرت الـعـــالم و الـفـكـر!

مرّت هذه الأيام الذكرى المئوية لانتصار ثورة اكتوبر العظمى التي حوّلت الأمبراطورية الروسية المترامية الأطراف، بملايينها التي كانت تعيش في عصر القنانة والإقطاع والعبودية القيصرية الآرثذوكسية، الى دولة عصرية شغلت العالم طيلة القرن الماضي وصارت محط انظار دوله الفتية و احزابه التحررية و مناضليه الساعين الى تحرر وانعتاق شعوبهم بالتضامن مع كل القوى الساعية الى تقدم ورفاه البشر، من جهة، و صارت محط مراقبة و نشاط مخططات انواع كيانات و اقطاب الرأسمال العالمي التي سعت الى وأدها و اجهاضها و تحطيمها منذ نجاحها، من جهة أخرى.

□ د. مهند البراك

بعد أن حققت و أصابت و اخطأت، و لأول مرة في التاريخ دولة قائمة على اساس تحقيق السعادة و الرفاه للكادحين، و على اساس نشر روح التآخي القومي والديني و المذهبي و حرية المرأة و مساواتها بأخيها الرجل، و على اساس كشف و الغاء المعاهدات السرية لاقتسام العالم بين الأقطاب العظمى. فتسابقت مئات الحركات التحررية في العالم لخطب ودّها و للحصول على دعمها النزيه الداعي الى التكاتف في وجه المخططات الشريرة الساعية الى الاحتلال والى التمييز العرقي، البشري، و القومي و الديني. و يرى كثير من المحللين أن اهميتها. وبالتالي تقييمها كما يسعى البعض. لايمكن أن تُعرف أو تُقاس إلا اذا دُرست و حُسبت أبعادها في زمانها و ظروفها الوطنية الداخلية و ظروفها العالمية آنذاك و ما احدثت. و يصنّفها مؤرخون بأنها لا يمكن أن تقلّ اهمية عن الثورة الفرنسية العظمى ١٧٨٩ و الثورة الصناعية في بريطانيا عام ١٨٤٨، سواء في دورها الوطني الداخلي في بلد شغل سُدس الكرة الأرضية، أو في تأثيرها الفكري و دورها الاقتصادي والإنساني العالمي، الى يومنا.

و يرى عديد من علماء التاريخ و المجتمع المعاصرين، أن نجاح ثورة اكتوبر أثبت بأن النظريات الداعية الى دولة العدالة الإجتماعية، ليست رجماً بالغيب و ليست رمادية ممكنة على الورق فقط و لا خيالية كـ "جمهورية افلاطون" و إنما انها ممكنة التطبيق، حيث نجحت و انجبت دولة "اتحاد الجمهوريات السوفياتية" التي غيّرت مسار التاريخ العالمي طيلة القرن المنصرم...

وانها رغم الأخطاء التي اقترفتها (١) والتي لايخلو منها اي تغيير هائل كالذي احدثته في روسيا المترامية و في العالم، الاّ انها كانت التطبيق الخلاّق الأول للفكر الماركسي في زمان انتصارها مطلع القرن العشرين بإنشائها دولة كبرى !! كانت السبب الأساس للبدء بالتحشيد الرأسمالي العالمي ضدها و لإشعال حروب التدخل الطويلة لخنقها و لإيقاعها في شتى الفخاخ العملية و الفكرية، التي وصلت الذروة في الهجوم الهتلري النازي عليها في محاولة لتحطيمها و فرض نظام احتكاري جديد عليها..

والذي انتهى بدورها الباسل في تحطيمه و تحرير الدول الأوربية الشرقية منه (٢)، بعد خسائر قاسية بالأرواح و الممتلكات.

ووصولاً الى جهود الاحتكارات الغربية و الصهيونية لتوريطه في حرب افغانستان، التي يكشف عنها النقاب تدريجياً، بعد أن تم كشف العديد من ملفات المخابرات المركزية الأميركية و البريطانية، عملاً بقوانين الأرشيف، والتي اعلنت في مواقعها على الانترنت، اضافة الى تصريحات عدد مهم من القادة و الموظفين الكبار فيهما .

و يرى خبراء سياسيون و تنظيميون، أن ذلك الانتصار الأول للفكر الاشتراكي الذي تم بواسطة و على يد الحزب البولشفي الروسي، و الذي لم يكن لينجح في الاستيلاء على السلطة واقامة دولة من نمط جديد (٣) لولا اسلوب بنائه و آلياته آنذاك، هو الذي ادىّ الى تبنّي غالبية الأحزاب العمالية و الشيوعية و غيرها نمط بنائه و قواعده الحديدية في محاولتها تأمين الأنتصار على غراره آنذاك، بعد ان سميّ بـ "حزب من طراز جديد". وادىّ من جهة أخرى الى بلورة ستالين بعدئذ أسس بناء الحزب على ذلك النمط في كتابه "أسس اللينينية" التي فرضها بشكل اكثر صرامة على احزاب الأممية الثالثة. . التي لم تتفق كلها معه، كالحزب الشيوعي الفرنسي، الإيطالي ثم الصيني و الإسباني و غيرها، رغم احتفاظ الجميع بوحدتهم في الموقف من الصراع بين المعسكرين العالميين آنذاك.

فيما يرجع آخرون تلك الصرامة الى تزايد حدة الصراع مع القوى الخارجية التي استشرست في صراع طويل ضد الإتحاد السوفيتي وانجبت عشرات المنظمات الأرهابية السرية على غرار جماعات المئة السود الأولى وغيرها للقيام بأنواع التخريب على أراضيه. الأمر الذي ادّى بتواصلها و تراكمها اضافة الى تراكم اخطاء و عوامل اخرى في بنائه و نشاطه الى نشوء التطرف و التعالي و شيوع روح العصمة من الأخطاء، وبالتالي الى البيروقراطية الحزبية و الأوامرية الإدارية، و الخروج عن المنهج العلمي الديالكتيكي الماركسي، في مواجهة التطورات العالمية الفكرية و العلمية، التكنيكية و المعلوماتية ، في العقود اللاحقة.

ولايمكن بأي حال اغفال أن ثورة اكتوبر بقيادة ف . أ . لينين استطاعت أن تحل مشاكل القوميات على أسس الأممية البروليتارية وحق تقرير المصير، التي اقيمت على الآليات التي وحّدت شعوب روسيا القيصرية في مواجهة الاقطاع و سلطة رأس المال و القيصر . رغم ثغرات و نواقص . وحققت الكثير من المكتسبات للشغيلة من الجنسين بعد أن اطلقت حرية المرأة ومساواتها بالرجل، وحوّلت البلاد من دولة غلب عليها الطابع الإقطاعي الى دولة تسعى للكهربة و التكنيك و التقدم الصناعي ، حتى وصلت و سابقت في الفضاء. و صارت قطباً من القطبين الأعظمين اللذين توقف على مباراتهما و نتائجها مصير المئات من الدول و الحركات التحررية و الإنسانية .

و حتى صارت سمة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية سمة معترفاً بها في العالم ، وصارت الاشتراكية هي الأمل و حلم خلاص ملايين المحرومين من الظلم و الطغيان و الاستغلال الاقتصادي و الروحي و الديني في العالم في تلك الحقبة التاريخية. ففي منطقتنا العربية الشرق أوسطية صارت دور النشر العربية ومنذ ستينات القرن الماضي، تتسابق على نشر المطبوعات الأشتراكية، بل وصارت كثير من الحركات القومية التحررية في الشرق الأوسط تتزيّن و تتمنطق بالأشتراكية (٤) للوصول الى عقل وقلب الكادحين بصياغتها مصطلحات جديدة لم تعرف سابقاً: كـ "الاشتراكية العربية" و "الاشتراكية الرشيدة"، اضافة الى حركات اسلامية كبيرة غدت تتحدث و تفسّر "اشتراكية النبي محمد"، "اشتراكية امام المتقين علي"، " اليمين و اليسار في الإسلام" و وصل الأمر الى الإعلان عن نشوء المنظمات "الإسلامية الاشتراكية" التي كادت إحداها ان تصل الى الحكم في إيران في انتخابات مطلع الثمانينات من القرن الماضي (٥) .

الأمر الذي لم يكن بمعزل عن مواقف الاتحاد السوفيتي من قضايا نضال الشعوب و الدول العربية و عموم البلدان النامية، و دعمه ايّاها من اجل تحقيق حقوقها العادلة و نجاحها في صراعاتها ضد السياسات الأمبريالية و الاحتلال و النهب و التمييز و اشعال الفتن القومية و العرقية و الطائفية.

وفيما يذكر كثيرون و يكتبون عن "ربيع براغ" في ١٩٦٨ وعن نضال "اتحاد النقابات الحرة البولونية" . ليش فالينسا في الثمانينات وعن الدعوة الى الديمقراطية في اوروبا الشرقية حينها، الاّ انهم لايذكرون شيئاً . لأسباب متعددة لا يتسع لها المقال. عن التحولات الجدية التي كانت تموج بها الحركات العمالية و النقابات و أحزاب و انظمة اوروبا الغربية الصناعية ذاتها، بسبب تزايد النفوذ الفكري و الإنساني للاشتراكية بمدارسها المتنوعة، لحاجة الأوساط العمالية و الكادحة لها لرسم طريق نضالها من اجل الحصول على حقوقها المهضومة .

حتى صار الأمر يهدد بانفصال ايطاليا الرأسمالية عن الناتو، بعد أن شرعت مؤسسات ايطالية مهمّة بالتقارب وبالدعوة الى تأسيس عقود عمل مع الدولة السوفيتية في مطلع سبعينات القرن الماضي، كطريق لحل الأزمة الأقتصادية التي تسببت ببطالة الملايين فيها، بسبب الصراع المرير للاحتكارات. وكان ذلك التحوّل هو السبب المباشر في حادث اختطاف واغتيال رئيس الوزراء الإيطالي المعتدل " الدو مورو " آنذاك (٦) .

اضافة الى ماكانت تسببه دولتا السويد و ألمانيا الغربية من قلق في اوروبا الغربية الرأسمالية، لتحقيق احزابهما الحاكمة منجزات وحقوق للشغيلة بسبب تزايد شعبية وضغوط النقابات والحركات العمالية و اليسارية، التي لعب وجود كتلة شرقية قائمة فعلاً على الأرض دوراً مهماً في تزايد نفوذ القوى اليسارية و افكار الاشتراكية و العدالة الإجتماعية فيهما مطلع الثمانينات، بعيداً عن إدراك ما كان يموج داخل الكتلة الشرقية فعلاً .

وبسبب ذلك النفوذ الفكري بالقناعة، ينسى قسم لماذا؟ و مَنْ ؟ كان وراء الانقلابات العسكرية الدموية التي اجتاحت العالم و الشرق الأوسط و اميركا اللاتينية تحديداً طيلة نصف القرن الماضي و ازهقت آلافاً مؤلفة من الأرواح التي عبّر بشأنها الرئيس الأميركي الأسبق جورج دبليو بوش عن اعتذار الولايات المتحدة عنها (!!) في خطابه السنوي عن حال الإتحاد عام ٢٠٠٣ . و اليوم و بعد افول الاتحاد السوفيتي الذي كان يُتّهم بكونه منبع العنف، ازداد العالم جموحاً و تزايد العنف و برزت مخاطر رهيبة يشيعها النهب و العنف و الإرهاب المتنوع، و تعود الصراعات الى اساليب الوحشية القروسطية.

و بالمقارنة يرى مؤرخون محايدون، بأن الأنظمة الرأسمالية المتنوعة القائمة اليوم لم تأت بوصفة سحرية أو نظرية لرجل علم أو فيلسوف محدد معيّن ، بقدر ما انها تكوّنت عبر صراعات مريرة و تغييرات عاصفة وثورات و ازمات حادة استهلكت ارواحاً و مصائر، و نظريات صعدت وأفلتْ، طيلة قرون. حتى صارت تسعى الى تشجيع الإبداع و التجديد و العلوم، التي تحقق أرباحاً افضل لرأس المال، النابع من مبادئها الربحية التنافسية ذاتها، دون تقييد ديني أو أخلاقي في واقع الحال و دون الاهتمام الحقيقي بمصائر البشر . و بالذات خارج بلدانها . عدا تخصيص معونات خيرية لإدامة مكانة و سمعة انظمتها وفق قوانين ضريبية و ائتمانية معمول بها، رغم البهرجة الإعلامية المنادية بالمبادئ السامية . . التي ترى فيها مؤسساتها بكونها ضرورة قصوى لتسويق بضائعها، وبالتالي سياساتها. وهي في مواقفها كثيرة التنوع وتسير بوتيرة كثيرة التعاريج و الصعود و النزول تتمحور على ضمان ارباحها، الأمر الذي يهدد حتى بتصادمها العنيف فيما بينها ايضاً.

اضافة الى أنها اعتمدت اساليب استعمار الشعوب الأخرى وسرقتها و قامت بسوق ابناء تلك الشعوب الى حروبها هي، و أدامت تلك السرقات التي امّنت و تؤمن لها مصادر مالية وتقنية و بشرية اسطورية، دعمت تمويلها و تمويل الفتن و الحروب التي اشعلتها، و التي بالمقابل واجهها الاتحاد السوفيتي السابق سياسياً باستخدامه المتكرر لحق النقض الفيتو في الأمم المتحدة. وواجهها مالياً و عسكرياً من خزينة دولته التي أرهقت بالهبات و المعونات بلا مقابل لشعوب العالم النامي و للدول المستقلة حديثاً، وفي محاربة الفاشية و الحروب العدوانية، كتمويله السد العالي في مصر بلا مقابل ، واعادته تسليح الدول العربية التي تضررت بسبب خساراتها في حروبها مع اسرائيل، الهائلة التكاليف بلا مقابل أو بمدفوعات اسمية أيضاً، اضافة الى تمويله حركات التحرر في كل انحاء العالم كما حصل في فيتنام و كوريا و المنظمات الفلسطينية غيرها و بلا مقابل . وكان آخرها تنازله دون مقابل عام ١٩٨٩ عن كل ديونه لجزيرة الحرية "كوبا" و التي بلغت بحدود ٢٠ مليار دولار، بسبب ضائقتها المالية التي تسبب بها الحصار. و غيرها من الأموال الفلكية من ميزانيتها. تجنبت الصين الاشتراكية مثلاً القيام بذلك الدعم و بتلك الضخامة و وفرت تلك الأموال داخلياً لها . .

■ **يتبع**

١ . *راجع سياسة الإصلاح المقترحة من لينين لحل الأخطاء، المعنونة بـ" السياسة الاقتصادية الجديدة . النيب" .*

٢ . *اشارت الإحصاءات الرسمية السوفيتية في نهاية الحرب العالمية الثانية التي استكملت في عام ١٩٩٠ عن خسارة اكثر من ٢٠ مليون انسان، اضافة الى عشرات المدن الكبرى المخرّبة وآلاف المدن الصغيرة و القرى، اضافة الى الخسائر اللوجستية الهائلة في كل نواحي الحياة .*

٣ . *بعد أن جرت محاولات في بلدان أخرى و فشلت.*

٤ . *رغم التحوّل الحقيقي أيضاً، الذي جرى في عدد منها .*

٥ . *منظمة مجاهدي خلق في عام ١٩٨١ التي وثّقت حتى وقتذاك نضالها على منهج المادية التاريخية واختلافها مع المادية الديالكتيكية، لأنها تمس الدين، وفق تعبير وثائقها آنذاك .*

٦ . *راجع كتاب "اندريوتي : بين السياسة، المخابرات السرية و المافيا" . شهادات ووثائق محاكمة الرئيس الإيطالي الأسبق اندريوتي . وثائق الأحزاب و وثائق المنظمات السرّية السياسية، الدينية و المافيوية . ريجينا ايغيل / دار هيربيغ ، عام ٢٠٠١ . بالإنكليزية و الألمانية .*

على خلفية الاحتفالات بمئوية الثورة العظمى

روســـيـا تـقـيّـم نـتـائـج اكـتـوبـر 1917

□ د. فالح الحمراني ×

ثورة اكتوبر ١٩١٧ الحُلم الذي ايقظه فلاديمير لينين وبدّده سيرجي غورباتشوف، وأراد له ليف تروتسكي، أن ينتشر كثورة دائمة في انحاء العالم، ولكن يوسف ستالين جربه في بلد واحد. لم يكن حلماً رومانسياً لبناء عالم الإخاء والمساواة، وإنما انقلب في بعض المراحل إلى حُلم مرعب.

عشية الاحتفالات بمناسبة مرور ١٠٠ عام على ثورة اكتوبر، تباينت في روسيا المقاربات والاراء في أوساط الرأي العام والدوائر السياسية ومراكز الدراسات والبحوث ومعاهد التاريخ في تقييم الثورة وإنجازاتها وتداعياتها وظلالها، وعلاقاتها بالحاضر والمستقبل. بيد أن جميع الاطراف اتفقت على انها "ثورة عظمى" وأحد الاحداث الكبرى في القرن العشرين، التي أثرت في مجرى التاريخ العالمي ومصائر عدد كبير من الشعوب. وثورة اكتوبر في روسيا هي عموماً، اضخم حدث وقع في القرن الماضي، فضلاً عن أن ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ارتبطت بحدثين لا يقلان جللاً منها: الحرب الوطنية العظمى وانهيار الاتحاد السوفياتي السابق.

جدل بوتين والشيوعي

الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، دعا الى أن تتحول مئوية ثورة اكتوبر الى رمز للتعاطي مع تاريخ روسيا المعاصر كما هو. وكان الرئيس بوتين قد أصدر في بداية العام مرسوماً يقضي بالتحضير للاحتفالات الرسمية بالمناسبة، وفي ضوئه تشكّلت لجنة حكومية خاصة بذلك. ويركز بوتين على أهمية أن يوضع حد لانقسام المجتمع (بين مؤيد ومعاد لثورة اكتوبر ومبادئها) ووضع حد للخلافات التي فجرتها ثورة اكتوبر ١٩١٧. وعبّر الرئيس عن الأمل بأن يتعامل المجتمع مع المناسبة لحصر النتائج للأحداث الدراماتيكية. حسب تعبيره. ويرى بوتين أن يكون اليوبيل المئوي فرصة "لتجاوز الانقسام الاجتماعي واشارة لتحقيق التفاهم المتبادل والقبول بالتاريخ كما هو بصفحاته التراجيدية والانتصار الكبرى". وكان الرئيس الروسي يتحدث عن ذلك في جلسة مجلس حقوق الإنسان التي انعقدت مؤخراً بالكرملين.

وفي جلسة فالداي الدولي بتاريخ ١٩ اكتوبر الماضي، قال بوتين وهو يتناول في كلمته مئوية اكتوبر، بأن نتائجها ذات مدلول مزدوج وتندمج فيها بصورة وثيقة السلبية والايجابية التي ينبغي الاعتراف بوجودها. ويرى بوتين بأنه كان يمكن التطور ليس من "خلال الثورة وإنما بالتدرج . وليس بثمن تدمير أركان الدولة، والإجهاز من دون رحمة على مصائر الملايين من الناس، بل التقدم للأمام تدريجياً وبثبات".

ويرى الرئيس الروسي، أن النموذج الاجتماعي والايدلوجي الذي حاولت الدولة الجديدة، التي تكونت بعد ثورة اكتوبر ١٩١٧ ، كان مثالياً (يوتوبياً)، كما أن الثورة اعطت حافزاً قوياً لإعادة البناء في انحاء العالم كافة، واثارت إعادة تقيم خطير لنموذج التطور وخلقت التنافس والتسابق، وبرأيه أن الغرب حصل على المنفعة من كل ذلك. موضحاً بأن الكثير من انجازات الغرب كانت مخاض الرد على تحديات الاتحاد السوفياتي. بما في ذلك ارتفاع مستوى الحياة وتشكيل طبقة وسطى قوية وإصلاح سوق العمل والمجال الاجتماعي وتطوير التعليم وضمان حقوق الإنسان بما ذلك حقوق الاقليات والمرأة، والتغلب على التفرقة العنصرية.

ورصد الحزب الشيوعي، إن السلطات تحاول التظليل على مئوية ثورة اكتوبر والتقليل من اهميتها. وأشار الشيوعي في تقرير أعدّه بالمناسبة الى فرض السلطات "الصمت" و "تبديلها بحملة مزيفة" كوسيلة حرب اعلامية .دعائية حول رموز وافكار ثورة اكتوبر. ومن تلك الأدوات كما يرى التقرير، هي التهويل من الضجة التي أثيرت حول فيلم "ماتيلدا" الذي عارضت القوى المسيحية عرضه لأنه يمسّ بشخصية نيقولاي الثاني آخر قياصرة روسيا، ويتعرض لثوابته الاخلاقية "كقديس". وذهب التقرير الى أن السلطات لا تود الاحتفال باليوبيل المئوي بشكل جدي، وتحضر للفعاليات الاحتفالية من دون "رغبة" على الرغم من مرسوم الرئيس فلاديمير بوتين.

ويذكر أن اللجنة للاحتفال ادرجت ١١٨ فعالية احتفالية بالمناسبة في جميع انحاء روسيا وخارجها. وحسب التقرير، أن الناخبين الذين يصوّتون لبوتين يتعاطفون مع "المشروع الأحمر" الذي يمثله فلاديمير لينين وفيلكس دزيرجينسكي ويوسف ستالين، بمعنى "أن صورة بوتين القيادية تتشرب من البطولة التأريخية للقادة "الحمر" ومؤسسي الاتحاد السوفياتي. ويقول سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي سيرجي ابوخوف، إن السلطة تفرض الصمت على مئوية ثورة ١٩١٧، لأنه وبخلاف ذلك سيتعين عليها الرد على اسئلة غير مريحة التي تتعلق بالمساواة الاجتماعية والوضع القائم بالبلد. كما يرى.

الإنجازات والنواقص

ويعترف العديد من المؤرخين، بأن روسيا لم تنته بعد من اعطاء تقييم نهائي ومتفق عليه على الثورة، وهل حققت فعلاً الآمال المنشودة بتحرير الانسان من الاستغلال وإرساء الطريق نحو عالم المساواة والإخاء والسلام وتجسيد الإنسان لذاته، أم انها كانت حُلماً رومانسياً لم يسفر إلا عن الكوراث والحرب الأهلية المدمّرة والابادات وحشر الملايين في معسكرات العمل وإقامة نظام شمولي حوّل المواطن الى أداة طيّعة، لخدمة النخبة التي احتكرت القرار.

لقد مرّت ثورة اكتوبر بتنوعات وممارسات هادفة لبناء المجتمع الاشتراكي، مجتمع العدالة الى فرض النظام الشمولي وممارسة العنف والاعتقالات الجماعية وإرسال الآلاف من الأبرياء الى الموت. وفي الجدل حول طبيعة ثورة اكتوبر ١٩١٧ يجد كل طرف عدو لها أو نصير ما يقحم بها الآخر، ويجد في تاريخها المبررات للممارسات بكل أشكالها.

الكاتب والاعلامي الروسي الشهير فياتشسلاف تريتاكوف، يكتب أن الاحتفالات بالمناسبة ضرورة لاجدل فيها، ويأتي ببراهين عدّة على رأيه من بينها، إن ثورة اكتوبر جعلت من روسيا التي سُمّيت بالاتحاد السوفياتي احدى الدول العظمى، وبلغت خلال تلك الفترة اقصى نقطة تأثيرها وبسط نفوذها، لم تبلغها على مدى تأريخها. كما أن الحكومة البلشفية (الشيوعية) حالت دون انهيار روسيا وحققت النصر في الحرب العالمية الثانية وصانت استقلال ووحدة أراضي البلاد واحبطت خطر إبادتها. وتسنى لروسيا، والكلام لتريتاكوف، بفضل الحزب الشيوعي، إحداث طفرة في مجال التطور التكنولوجي ورفع مستويات المعيشة. كما لايمكن تجاهل أن البلاشفة حاولوا تطبيق احدى يوتوبيات الحضارة البشرية، أي اقامة مجتمع لا طبقي ولا عنصري وخال من الملكية الخاصة، ولكن هذا المشروع الخيالي لم ينجح. ربما لاستحالة تجسيد اليوتوبيا في الحياة.

ومن ضمن نواقص النظام الذي خلقته ثورة اكتوبر، أشار تقرير نشر على موقع نادي "فولداي" الدولي على الانترنت، الى فقدان نظام التخطيط الاشتراكي قدراته توازياً مع التطور الاقتصادي وتعقده، والنقص المهم الآخر هو أن الغرب سد حاجات الاستهلاك بدرجة اعلى بكثير مما هو في البلدان الاشتراكية. الى جانب بقاء الرقابة بشكلها البيروقراطي الموروث من روسيا القيصرية على الاقتصاد، فضلاً عن أنه لم يتسنَ تجسيد قدرات الثقافة السياسية التي تنظر بمشاركة أوسع للجماهير بإدارة الدولة اضافة الى تحقيق المساواة الاجتماعية، ولا الحرص على تأمين الامكانات والقدرات كما في الديمقراطيات الغربية، وأدى التطور الاقتصادي للدول الاشتراكية الى انتصار ايديولوجية الاستهلاك على الأخلاقيات العامّة والسعي نحو "ألم الإخاء".

لقد حاولت الحركة التي اطلقها ميخائيل غورباتشوف المسمّاة بالبيريسترويكا، إزالة بعض تلك النواقص. وجرى خلال عملية الاصلاحات التي قام بها غورباتشوف ويلتسين، تصفية اشتراكية الدولة. وألغيت الكثير من الانجازات الاجتماعية التي حققتها ثورة اكتوبر. ولم يتخل المصلحان عن طموحات الاتحاد السوفياتي بتوسيع دوره الجيو / سياسي فحسب، ولكنهما دفعاه الى نظام السوق العالمي وفق شروط الغرب.

وفي ديسمبر ١٩٩١ انقسم الاتحاد السوفياتي الى ١٥ دولة مستقلة. ونتيجة لانهيار الاتحاد السوفياتي تبددت الاهداف الاجتماعية والاقتصادية التي وضعتها ثورة اكتوبر، والتي ربما كان أهمها اقامة مجتمع لا طبقي ولا سوق ولا منافع أو أرباح أو ملكية خاصة.

× *كاتب من العراق يقيم في موسكو*